مجلة الرائد

العدد : ١٩٤ الموافق في جمادى الثانية ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/١١ ميلادي

عنوان المقال : نظرة في الخلافات الزوجية	بقلم : عبد العزيز بلحاج

ترسخت في ذهني منذ الصغر مقولة مفادها : سيبقى على الدوام من يهتم ببيته بينما العالم ينهار ، ومن يهتم بالعالم بينما بيته ينهار. والدافع إلى ذكر هذه المقولة هو أن مجمل الفكر الإسلامي موجه نحو القضايا الكبرى ؛ السياسية أو الدعوية ، أما هموم المسلم اليومية فتكاد تكون مهملة ولا تلقى الاهتمام اللازم من أهل العلم والاختصاص.

ومن هذه القضايا ما يتعلق بأمور الزواج والتربية : وما يكتنف الحياة الزوجية من خلافات ينبغي أن تفهم في ضوء الطبيعة البشرية وظروف النشأة والبيئة المحيطة.

١- الخلافات طبيعية : إن موضوع الخلافات الزوجية ذو فروع وذو شجون ولا يمكن الإحاطة بكل جوانبه وجزئياته ، لأن الأسباب المؤدية إليه متشعبة ومتغيرة حسب الظروف والأحوال.

بادئ ذي بدء يجب أن نعلم بأن الخلاف والاختلاف من طبائع البشر التي فطر الله الناس عليها ، فمن حكمته عز وجل أن خلق الناس مختلفين في صورهم وأفكارهم ، وميولهم وأذواقهم ، الأمر الذي يترتب عليه حتماً اختلاف الناس في الاتجاهات النفسية والمواقف والأعمال.

وأما كونها طبيعية فلا حاجة للانزعاج منها حال حدوثها ، ولكن في الوقت نفسه لا يعني هذا أن يستسلم لها الإنسان ، فالخلاف يعكر صفو الحياة ، ويجب علينا أن نحاول بكل وسيلة علاجه وتجاوزه والحيطة منه كذلك.

لقد سقت هذا الكلام لأن كثيراً من الناس يتوهمون بأن الحياة الزوجية يجب أن تكون مثالية خالية من المشاكل والهموم ، فيتخيلونها جنة صغيرة - تجمع بين عشيقين - فبمجرد حدوث أدنى خلاف أو سوء تفاهم بينهم يظنون بأن الكارثة قد حلت بهما.

وإضافة إلى ذلك يرى علماء النفس والاجتماع بأن الخلافات الزوجية لازمة وضرورية لاستمرار الحياة الزوجية ، لأنها تجعل الزوجين أكثر تلاحماً وملاءمة ، وأن غيابها هو الأمر الشاذ والغريب. فحتى بيت النبوة لم يسلم من مثل هذه الخلافات لأنها سنة الله في خلقه.

٢- كيف ينشأ الخلاف بين الزوجين ؟

لا يستطيع أحد أن يحدد بالضبط كل مسببات الخلافات الزوجية ، فهي تتغير حسب الأحوال والظروف الشخصية لكلا الطرفين ، فقد تشتعل الخلافات في بعض الأحيان لأسباب واهية لا يتصور

عنوان المقال : نظرة في الخلافات الزوجية	بقلم : عبد العزيز بلحاج

أحد أنها تسبب خلافاً. ومناخ الزوجين النفسي قد يلعب دوراً مهماً ، فقد يسبب موقف ما بين زوجين خلافاً في حالة معينة ، وينعدم أثره في حالة أخرى ، وقد يبعث بين زوجين آخرين على الضحك.

ويجب أن لا نغفل كذلك عن جانب مهم في أغوار النفس الإنسانية يتعلق بالرواسب النفسية التي تتجمع في داخل النفس - التي يصطلح عليها في علم النفس باللاشعور - وهي عبارة عن أحداث أو ردود فعل يعايشهما الإنسان تترسب مع الزمن في باطن النفس حتى يظهر أثرها تلقائياً بسبب الانفعال في وقت ما. وفي علم النفس الحديث يفسرون معظم الانفعالات العفوية أو المقصودة أو حتى العقد النفسية بما هو متراكم في داخل النفس " اللاشعور ". فكم من زوجين وصلا إلى درجة الطلاق لأسباب في الظاهر تافهة ، فيكون - على سبيل المثال - سبب نشوب الخلاف أن تأخرت الزوجة عن إعداد الطعام في الوقت المناسب أو شيء من هذا القبيل ، ولكن هذه التراكمات النفسية إذا تكاثرت وتعقدت فلا تحتاج إلا إلى عود كبريت واحد لإشعال الحريق.

فلذلك ينصح أهل الاختصاص دائماً بالمصارحة التامة بين الزوجين وإفراغ ما في الصدور بالمناقشة الهادئة التي يعمها الحب والوئام. وفي هذا الموضع أود أن أشير إلى عامل آخر مهم وهو التكيف بين الزوجين ، وهو أمر يخص المبتدئين في الحياة الزوجية أكثر من غيرهم ، فمعظم أسباب الخلاف في بداية الحياة الزوجية تكون بجهل أحد الزوجين أو كليهما بمزاج وطبيعة الطرف الآخر. فيجدر بالزوجين أن يتعرف كل منهما على خصوصيات الطرف الآخر ، وهي تشمل كل الأمور المرغوبة لدى الآخر فيكثر منها ، والأمور التي تضايقه فلا يأتيها . وهذا بدوره لا يتم إلا بالمودة والإخلاص المتبادلين.

وأنا هنا لا أدعي كذلك أنه بهذا الشكل ستنعدم الخلافات وتتلاشى ، إنما فقط للحيلولة دون تكرارها وتعاظمها.

٣- كيف نتعامل مع الخلافات ؟

الخلافات كما قلنا طبيعية ، ولكن كيفية تفاعل الطرفين معها هو الذي يحدد مسارها ، وننصح الزوجين بأمور :

١- الحكمة والتروي : إذا كان الخلاف ينشأ في معظم الأحيان ، لأسباب واهية وتافهة ، فبقليل من التعقل والتروي يمكن إخمادها.

ومن الأخطاء التي تضخم المشاكل فتجعل من الحبة قبة هو الانفعال الشديد أثناء المواجهة بين الطرفين عند حدوث خلاف بينهما . فالأفضل هو التزام الصمت وعدم إثارة أي نقاش والأعصاب متوترة ، لأن النقاش في هذه الحالة يزيد الطين بلة كما يقال فيعقد الأمور أكثر.

المودة

سبيل السعادة الزوجية

٢- المودة سبيل السعادة الزوجية : وبسط جناح الذل من الرحمة مطلوب من كلا الزوجين ، فالعاطفة التي تجمع بينهما تكون أنجح دواء لنسج خيوط الحياة مرة ثانية بينهما بعد أي خلاف. يقول الرسول : « إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر رحمة ، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما ». ويقول الشاعر :

غلطةٌ ثم لفظةٌ فجوابٌ

فشجارٌ ففرقةٌ فطلاقُ

أو تغاضٍ فَرِقةٌ فدموعٌ

فاعتذارٌ فلمسةٌ فعناقُ

والتغاضي عن الأخطاء والسكوت عن الهفوات يساعد كذلك على تجاوز كثير من الخلافات.

٣- عدم نقل المشاكل إلى الخارج : ومن الأمور التي يجب الحرص عليها أشد الحرص هو عدم نقل المشاكل الزوجية إلى خارج البيت ، لأن نقل مشكلة خارج البيت يزيد في تضخيمها ودوامها. وغالباً ما تقع الخلافات بسبب أمور تافهة - كما سبق الذكر - فينقلها أحد الطرفين وهو خصم فيضخمها أمام الآخرين فيصدرون أحكاماً جائرة لا تناسب حجم المشكلة. والطامة الكبرى حين تنقل المشكلة إلى أهل أحد الزوجين فتأخذهم الحمية على ابنهم أو ابنتهم فيكون تدخلهم في المشكلة لنصرة أحد الطرفين ، الأمر الذي يعمق جذور المشكلة وتكون عواقبها وخيمة.

العدد : ١٩٤ الموافق في جمادى الثانية ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/١١ ميلادي

عنوان المقال : نظرة في الخلافات الزوجية	بقلم : عبد العزيز بلحاج

كلمة أخيرة : إذا كان اللقاء بين شخصين عاديين - كما وصفه أحد العلماء - يشبه التفاعل الكيميائي بين مادتين كيمائيتين ، بحيث تتبدل كل مادة لأجل حصول التفاعل ، فالأجدر بذلك الزوجان اللذان تقوم علاقتهما على الدوام والاستقرار. وإن حصل خلل ما في التفاعل - بين الزوجين - فبقليل من الحكمة والتروي ، وكثير من المودة والحنان ، تعود المياه إلى مجاريها وتستمر الحياة.